الخوارج النادمون على مخالفة الإمام علي بن أبي طالب ؑ

الدكتور
ناجح جميل آل صافي

يقدم هذا البحث معلومات جديدة عن الخوارج، الذين رجعوا عن معاداتهم ومخالفتهم للإمام علي بن أبي طالب ؑ، خلال وقعة صفين[١] وبعدها، وكانوا قبل ذلك اجترحوا عنه المآخذ والاتهامات الباطلة، وتطاولوا على تكفيره، وقد زاولوا هذه البدعة، وأخذوا يرددونها طوال أكثر من ربع قرن، بما فيهم"المحكّمة الأولى"[٢]التي اجتمعت في"حروراء"[٣]. وقد كذبوا على الإمام من وجهين، أحدهما: في التحكيم، وثانيهما في تحكيم الرجال، مرة جائز وأخرى غير جائز. بيد أنّ هؤلاء الذين خرجوا، هم الذين حملوه على التحكيم، ثم ما لبثوا أن أنكروه، فقال الإمام:((كلمة حقّ أريد بها باطل)) مما حمله على مقاتلة الناكثين والقاسطين والمارقين[٤].

ومن الخوارج من اجتمعوا بعد التحكيم، وانصرافهم لمعاوية بن أبي سفيان عند: عبد الله بن وهب الراسبي[٥]، وحمزة بن سيّار[٦]، وزيد بن حصين الطائي[٧]، وشريح بن أوفى بن يزيد العبسي[٨].

أمّا الخوارج الذين رددوا هذه الفرية في التحكيم وتحكيم الرجال، فيما بعد، فمنهم الأزارقة وفي مقدمتهم: عبيدة بن هلال اليشكري[٩]،وصالح بن مخراق العبدي[١٠]، وقطري بن الفجاءة المازني[١١]، وعبد ربه الكبير[١٢]، وعبد ربه الصغير[١٣]، وكذلك فرق الخوارج الأخرى.

بيد أنّ بعضهم اعتزل معاداة الإمام، وأظهر خطأه وندمه، ولكن تبيّن الحقائق لنشوء هذه البدعة، وجذورها التاريخية وتخليهم عنها.

إنّ تتبع ما حصل بعد وقعة صفين، التي كاد جيش الإمام أن ينتصر فيها على معاوية بن أبي سفيان، من أهل الشام الذين رفعوا المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن، فقال الإمام علي بن أبي طالب ؑ:((عباد الله، إنّي أحق من

أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وعبد الله بن أبي سرح، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا وصحبتهم رجالا، فكانوا شرّ الأطفال وشرّ الرجال، إنّها كلمة حقّ يراد بها باطل، إنّهم والله ما رفعوها إنّهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنها الخديعة، والوهن والمكيدة، أعيروني سواعدكم وجماجمكم، ساعة واحدة، فقد بلغ الحقّ مقطعه، ولم يبقَ إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا))[١٤].

ولم يلبث الإمام أن انتهى من خطابه حتى جاءه رجال مقنعين في الحديد شاكيّ السلاح سيوفهم على عواتقهم يتقدمهم زيد بن حصين الطائي، وعصابة من القراء الذين أطلق عليهم"خوارج" من بعد منهم ابن الكواء[١٥]، إلينا دون باسمه لا بأمرة المؤمنين: ((يا علي أجب القوم إلى كتاب الله، إذ دعيت إليه وإلا قتلناك، كما قتلنا ابن عفان))[١٦].

ويتضح أن أول من خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جماعة ممن كان معه، في حرب صفين، وأشدّهم خروجا عليه ومروقا من الدين: الأشعث بن قيس الكندي[١٧]، ومسعر بن فدكي التميمي[١٨]، وزيد بن حصين الطائي، وكان هؤلاء أول من حملوا الإمام على التحكيم، وكان هو يريد أن يبعث عبد الله بن عباس، فرفضوا وقالوا:((هو منك))، وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري، فجرى الأمر على خلاف ما رضي به، فلما لم يرضَ خرجوا عليه، وقالوا:((لمَ حكّمت الرجال؟! لا حكم إلا لله))[١٩].

ويذكر الشهرستاني من فرقهم: المحكّمة، والأزارقة، والنجدات، والبيهية، والعجاردة، والثعالبة، والأباضية، والصفرية[٢٠].

لقد كانت آراء الخوارج ولاسيما المحكّمة الأولى بدائية اتصفت بالتصلب والتطرف ودفاعها عن آرائها بالجدال والقتال والاستعراض، وقتل المخالفين لهم مه ذراريهم. وفي هذا الإطار من التخويف والهلع بين الناس اتسعت حركتهم أيام الأمويين، ولكن خبا شيء من حميتهم الحربية ومال بعضهم إلى الاعتدال في الرأي

السياسي والديني، فيما عدا فرقة الأزارقة، وهم أتباع ناف بن الأزرق المقتول سنة ٦٥هـ/٦٨٥م، الذين كانوا أكثر الخوارج عديدا، وقد كفّروا من لا يدين لهم، حتى أصحابهم من العقيدة الذين اعتزلوا القتال وتمسكوا بالتقيّة[٢١].

ولعل من المفيد القول: إنّ عددا من هؤلاء الخوارج، قد عدلوا عن مواقفهم إزاء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وإزاء العلويين بعامة وأقرّوا بعدالة الإمام في حرب صفين، ولنا في إشارة الشهرستاني ما يؤيد انتصار مبادئ الإمام التي تتجلى فيها القوة وبلاغة التأثير في أقوالهم وأفعالهم[٢٢]، ومضى إلى أن أوائل فرق الخوارج الذين أظهروا الندم ((فرقة النجدات العاذرية))، فقد أقروا التوبة واعتزلوا النقمة، ثم ندمت طائفة على هذه الاستتابة وقالوا:"أخطأنا، وما كان لنا إلا أن نستتب الإمام،فتابوا من ذلك وأظهروا الخطأ، وكذلك فرقة"الحازمية" وهم أصحاب حازم بن علي[٢٣]. وقال:((إنّهم كانوا يتوقفون في أمر علي عليه السلام، ولا يصرحون بالبراءة منه، ويصرحون بالبراءة في حقّ غيره))[٢٤].

وقال قيس بن أبي حازم، وهو من رجال الخوارج:((كنت مع علي، في أحواله وحروبه، حتى قال يوم صفين:"انفروا إلى بقية الأحزاب، انفروا إلى من يقول:"كذب الله ورسوله، وأنتم تقولون:"صدق الله ورسوله، فعرفت، أي شيء كان يعتقد في الجماعة، فاعتزلت إليه" أي نبذ معاداته وتركها وانتظم إلى صفه وجماعته)).

أمّا شعر الخوارج، فينطوي على معانٍ يمكن الاستخلاص منها أن زمرة من شعرائهم وخطبائهم، عبّروا عن ندمهم في مخالفة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في قضية التحكيم، فهذا الشاعر أبو محمد؛ نافع بن الأسود التميمي[٢٥]، وهو من الخوارج ومن شرائهم المحسوبين يقول بعد أن أدرك أن الحقّ مع الإمام فنزع إليه:

ألا أبلغا عنّي عليّا تحيّة

فقد قبل الصّما ولما استقلتِ

بنى قبة الإسلام بعد انهدامها

وقامت عليه قصرة فاستقرتِ

كـــأنّ نبيّـــا جاءنـــا حـــين هـــدمها

بمـــا ســـنّ فيهـــا بعـــدما قـــد أُبـــرتِ(٢٦)

وجاء في قول شاعر الخوارج زيد بن عبد الله الراسبي، وهو من أهل حروراء، ما يشير إلى ندمه في مخالفة الإمام لتنصيب عبد الله بن قيس أبي موسى الأشعري، بدلا من عبد الله بن عباس، الذي انتدبه الإمام في التحكيم، مقابل عمرو بن العاص عن معاوية بن أبي سفيان:

نـــدمنا علـــى مـــا كـــان منّـــا ومـــن يـــرد

ســـوى الحـــقّ لا يـــدرك هـــواه ويـنـــدمِ

خرجنـــا علـــى أمـــر فلـــم يـــكُ بيننـــا

وبين عليّ غير غابٍ مقوّم

وضـــرب يـــزلّ الهـــام عـــن مســـتقره

كفاحـــا كفاحـــا بالصـــفيح المُصـــمّمِ

فجـــاء علـــيّ بـــالتي لـــيس بعـــدها

مقـــال لـــذي حلـــم ولا مـــتحلّمِ

زمانـــا بمـــرّ الحـــقّ إذ قـــال جئـــتمُ

إلـــيّ بشـــيخ للأشـــاعر قشـــعمِ

فقلـــتم رضـــينا بـــابن قـــيس ومـــا لنـــا

رضـى غـير شـيخٍ ناصـح الجيـب مُسـلمِ

وقـــال ابـــن عبـــاس يكـــون مكانـــه

فقـــالوا لـــه:لا لا ألا بـــالتهجمِ

فمـــا ذنبـــه فيـــه وأنـــتم دعـــوتمُ

إليـــه عليّـــا بـــالهوى والـــتقحّمِ

فأصـــبح عبـــد الله بالبيـــت عائـــذا

يريـدُ المنـى بـين الخطـيم وزمـزمِ(٢٧)

وفي المقطوعتين الآتيتين ما يدلّ على مدى التردد، قبيل الخروج النهائي على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، يوم صفين، يقول زيد بن عبد الله الراسجي في الأولى:

شـككتم ومـن أرسـى بشـيراً مكانـه

ولـو لم تشـكّوا مـا انثيـتم عـن الحـربِ

وتحكـيمكم عمـراً علـى غـير توبـةٍ

وكـان لعبـد الله خطبـا مـن الخطـب

فأنكصـه للعقـب لمـا خـلا بـه

فأصبح يهوي من ذرى حالق صَعَب(٢٨)

وعمراً في البيت الثاني من المقطوعة هو عمرو بن العاص الذي تحدث عن معاوية بن أبي سفيان، وعبد الله هو عبد الله بن قيس أبو موسى الاشعري، الذي لم يرتضي به الإمام وأصحابه ممثلاً عنهم، وكان رجع بعضهم وصلّوا خلف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام(٢٩)

وفي المقطوعة الأخرى، لمسلم بن يزيد الثقفي، وهو من الخوارج الراجعين إلى صف الإمام، قوله:

وإن كـان مـا عبنـاه عيبـاً فحسـبنا

خطايـا بأخـذ النصـح مـن غـير ناصـحِ

وان كـان عيبـاً فـاعظمّن بتركنـا

عليّـاً علـى أمـر مـن الحـق واضـحِ

ونحـــن أنـــاس بـــين بـــينٍ وعلّنـــا
ســـررنا بـــأمر غبّـــه غـــير صـــالحِ

إن هذه الأبيات لهذا الشاعر، الذي كان من عبّاد حر وراء يشير إلى أنَّ تركهم الإمام، قد سرّهم ولكن اتضح أنَّ الأمر في غير صالحهم كما أظهرت الأيام.

ويمكن الاستدلال، من قولة رجل من الخوارج، وقد قدّمه الحجاج بن يوسف الثقفي، ليقتل، بما يشير إلى ندمه على خروجه عن الإمام، وإقراره أنَّ عليّاً كان على حق في موقفه من الخوارج، وفي حربه ضد معاوية بن أبي سفيان، كما أعترف بأنّه مولى المؤمنين وأميرهم، وأنه وصى النبي ، وقد أصبح ذلك دينه الذي لا يدين بغيره:

أحجـــاج إنّـــي والـــذي أنـــا عبـــده
علـــى ديـــن خـــير العـــالمين محمـــدِ
وأمّـــا علـــيّ ذو المعـــالى فإنّـــه
وصـــيّ نـــبي ذي ســـناء وســـؤددِ
وإنْ يـــكُ مظلومـــاً لـــه الله ناصـــراً
فينصـــره مـــن كـــلّ بـــاغٍ ومعتـــدِ
وقـــد كـــان مـــولى المـــؤمنين وأنـــني
مقـــرٌ بـــه في كـــلّ نـــادٍ ومشـــهدِ
فـــذلك ديـــني لا أديـــن بغـــيره
ولســـت كهـــذا الكـــافر المتلـــددِ[٣٠]

ونستدل، بما جاء به الشاعر حبيب بن خدرة الهلالي، وهو من خطباء الخوارج وشعرائهم وعلمائهم، وكان عداده في بني شيبان ومولى لبني هلال بن عامر[٣١] في رثائه لزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام حيثما أخمدت ثورته ضد الأمويين في الكوفة، إنه ـ أي حبيب بن خدرة ـ إلى رشده، في موالاة آل علي، وقد

وصف القوات الأموية، التي قمعت ثورته "باولاد درزة" وهو تعبير اطلق على الغلة والسقّاط، وانهم عصابة، ارتكبوا عاراً شنيعاً حينما مثلّوا بجسده الطاهر، قال:

يـــا بـــا حســـين لـــو شـــراة عصـــابة

صـــبحوك كـــان لـــوردهم أصـــدارُ

أن يقتلـــوك فـــإن قتلـــك لم يكـــن

عـــار عليـــك ورب قتـــل عـــارُ

يـــا بـــا حســـين والجـــدير إلى بلـــى

أولاد درزة أســـلموك وطـــاروا[٣٢]

وقال أيضاً يرثي زيد بن علي:

أولاد درزة أســـلموك مكـــبلاً

يـــوم الخمـــيس لغـــير ورد الصـــادر

تركـــوا ابـــن فاطمـــة الكـــرام تقـــوده

بمكـــان مســـخنةٍ لعـــين النـــاظِر[٣٣]

وفي إشارة له، إلى التحكيم الذي جرى يوم صفين، وعارضه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وعهدوا إلى أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص، أنهم عصوا الإمام وحكمّوا الملعنين في الدين ودعوا إلى الضلالة، ولكن الحق مع الإمام، وقد تبرأ منهم حبيب بن خدرة الهلالي، حينما قاتلوا الإمام يوم النهروان:

يـــا ربُ إنّهـــم عصـــوك وحكمّـــوا

في الـــدين كـــلّ ملعـــنٍ جبـــارِ

يـــدعو إلى ســـبل الضـــلالة والـــردى

والحـــقّ أبلـــج مثـــل ضـــوء نهـــار
فهـــم يـــرون ســـبيل طـــاغيهم هـــدى
وأرى ســـــبيلهم ســـــبيل النـــــارِ
يـــا ربُّ باعـــد في الولايـــة بيننـــا
إنّـــي علـــى مـــا يفعلـــون لـــزار
وســـبيل يـــوم النهـــر حـــين تتـــابعوا
متـــوازرين علـــى رضـــى الجبـــارِ[٣٤]

ومن شعراء الخوارج محارب بن دثار[٣٥]، كانت له عودة في موالاة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان روى عن جماعة من الصحابة والتابعين، فيهم عمران بن حطان[٣٦]، وروى عن جماعة منهم الأعمش وشريك، ووثقه أحمد بن حنبل، وابـن معـين، وذكـره ابـن حبـان البسـتي[٣٧]، وقـال إنّـه: ((كـان يتشـيع بعـد خروجه))[٣٨]، وقال في قصيدته عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام متحدياً بعضهم الذي سمّاهم السفاه (السفهاء) ببعضهم الإمام، فكان يكرر موالاته واطرائه له فقال:

يعيـــب علـــيّ أقوامـــاً ســـفاهاً
بـــأن أطـــري أبـــا حســـن عليّـــا
وإطرائـــي أبـــا حســـن صـــوابٌ
عـــن العمـــرين بـــراً أو شـــقيّا
فلـــيس علـــيّ في الإطـــراء بـــأس
ولا لـــبس ولســـت أخـــاف شـــيّا[٣٩]

وهنا، فهو لا يخاف من جماعته، الذين تبرأ منهم، ولومهم إياه لأنه يقول قولاً لا لبس فيه ولا إساءة للإمام عليه السلام وهو بذلك في أتم اليقين إذا قدم قوماً اتبعوا الله والحق وسنن نبيه، فلا يضيره، إذا ما رموه بالكذب، والرداءة، كما استشهد بقوله:

أحمـــــد خـــــالقي حمـــــداً كـــــثيرا

بـــــدأ خَلقـــــي فأنشـــــأني ســـــوّيا

ومـــــنّ علـــــيّ بالإســـــلام حتّـــــى

عرفـــــتُ الـــــدين متقـــــبلاً حبّيـــــا[٤٠]

أمّا الجند الذين كان يعبؤهم الخوارج، لمحاربة اعدائهم من الأمويين فان أغلبهم، كما جاء عند البلاذري، كانوا يغادرون الخوارج، ويقول بعضهم: وما لنا لا نقاتل الخوارج؟ حينما يظهر هؤلاء الخوارج، البغض لعلي وابنائه[٤١].

ويبدو، أنَّ موقف هؤلاء الخوارج النادمون، لم يظهر، بعد وقعة صفين مباشرة، ولكنه ظهر بعد حين، ويوم تجلى لهم موقف قادتهم من العلويين وقد امتحن الخوارج أولئك الجند، وهم مرابطون، يحاربون ضد المهلب بن أبي صفرة، وسألوهم عن محاربة العلويين في طبرستان، فلم يجيزوا جواباً بالرفض، فهم يحاربون الأمويين[٤٢].

وفي النهروان، تراجع كثير من الخوارج عن حرب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد أشار بعض المؤرخين، إلى أنَّ فروة بن نوفل الاشجعي[٤٣]، وكان رئيساً للخوارج يومئذ، نهى مقاتليه عن خوض المعركة، فقال لأصحابه قبل بدء حرب النهروان: يا قوم، والله ما ندري علامَ نقاتل عليّاً، وليست لنا في قتاله حجّة ولا بيان، يا قوم: انصرفوا، حتى تنفذ لنا البصيرة، في قتاله أو إتباعه))[٤٤]، ولم يلبث أنَّ ترك أصحابه، ومضى في خمسمائة رجل، ممن استجابوا لندائه وانتصحوا بنصيحته، وانحاز بهم عن مقاتلة الإمام ومعاداته، وانتحى معهم إلى بلدة "البندنيجين"[٤٥]، بعيداً عن ساحة الحرب، ثم خرجت كتيبة أخرى من الخوارج، على أثرهم، تاركة حرب الإمام ولحقوا بالكوفة[٤٦]، وحينما نفذ صبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام،

لردع الخوارج، عن خوض الحرب في صفين، ومحاججته لعبد الله بن الكواء اليشكري[٤٧]، وبعد أنَّ خذله الإمام وانصرافه لطلب من كبرائهم وتماديهم في "الغيّ"[٤٨]، أمر الإمام الناس، أنَّ يأخذوا، أهبة الحرب، ورفع رايته وضم إليها ألفى رجل وجعل عليها أبا أيوب الأنصاري[٤٩] ، ونادى "منا التجأ إلى هذه الراية فهو آمن))[٥٠]. فاستأمن إليها ألف رجل من الخوارج[٥١].

وهكذا لم يبق مع قائد الخوارج عبد الله بن وهب الراسبي الازدي[٥٢]، في حرب الامام، أكثر من ألفين وثمنمائة رجلاً وكانوا في الأصل أربعة آلاف[٥٣]، ويخيّل إلينا أنَّ عدد الخوارج الذين انشقوا عن الحرب وغادروها، كانوا ندموا على معارضة الإمام وصدودهم عن الحق ولجاجتهم.

ويمكن أنَّ نفهم من سيرة المختار بن أبي عبيدة الثقفي، الذي كان في أول أمره من الخوارج، ويدين بأرائهم ومعتقداتهم، ما يشير إلى تبرئه منهم وتحوله إلى موالاة العلويين، فطارد قتلة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، الذي اجتمعوا، على حربه في كربلاء وقد نص الشهرستاني، إلى أنَّ المختارين، هم أصحاب المختار بن أبي عبيدة الثقفي الذي كان خارجياً، ثم صار زبيرياّ، ثم أصبح شيعياً كيسانياً[٥٤]

وفي سيرة، أبي بلال، مرداس بن أدية[٥٥] وهو احد شعراء الخوارج، ما يشير إلى عودته لآل علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته وذلك بعد أنَّ تحوّل إلى المعتزلة، ثم اخذ مبدأ الأخذ بالتقية قوله: (أنَّ الله قد جعل لأهل الإسلام، سعة في التقيّة)[٥٦]، في حين لم تكن التقية مبدأ يأخذ به الخوارج، ويبدو، أنَّ ذلك قد جرّ عليه نقمة أصحابه الخوارج، فقد قتل بطريقة مريرة ومؤلمة على ايديهم[٥٧] وكان الخوارج، قبل ذلك لا يعدلون به أحداً منهم.

أمّا حيان بن ظبيان السلمّي، وهو من خوارج النهروان، الذي تابَ على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وعاد إلى موالاته، ثم خرج إلى الري، ولما بلغه مقتل الإمام، دعا أصحابه، للرجوع إلى الكوفة للوقوف إلى صف الإمام الحسن بن

علي بن أبي طالب عليه السلام ، بيد أنَّ عبيد الله بن زياد، تصدى له، بجيش ففرّقهم وقتل حيّان بن ظبيان وأكثر جنده[٥٨].

ويمكن القول أنَّ الخطوة التي لقيها الموالي لدى الخوارج والعلويين على السواء، ربما بسبب عدائهم المشترك للأمويين قد حفز كثير من الخوارج من اصل الموالي، بتقبل آراء العلويين والانضمام إلى صفوفهم، ونفورهم من قسوة الخوارج وجفوتهم من ناحية، وتأثرهم، بخطب الإمام علي بن أبي طالب وسيرته ومقولاته ونصحه، وسطوع الحقيقة من خلالها من جهة أخرى فتيقنوا أنَّ الإمام كان على حق في موقفه من التحكيم والحكمين والخوارج، وكان زعماء الخوارج في حروراء، قد تخلوا عنهم، بل قاتلوهم قتالاً مريراً، وربما كان ذلك بسبب عدم اقتناعهم برؤسائهم من التجييش على الإمام علي بن أبي طالب، حتى أنَّ عدداً كبيراً منهم تسللوا إلى الكوفة، وقابل مائة منهم الإمام جهاراً، ولحق الخريت بن راشد الناجي، بالإمام مع ثلثمائة رجل منهم في الكوفة، فقاتلوا معه في موقعة الجمل، وفي صفيّن، والنهروان، وعلى الرغم من انفصال الخريت بن راشد عن جيش الإمام، ولكن اتباعه جددّوا مبايعة الإمام والاخلاص له، وحينما سار الخريت بن راشد إلى الأهواز التحق به عدد من خوارج غير العرب، ولّما علموا انفصاله عن الإمام انضموا إلى الكوفيين وصلوا خلف الإمام علي بن أبي طالب[٥٩].

وهكذا فإن ما تميزت به سيرة الإمام علي بن أبي طالب، في علمه وحلمه وشجاعته وصدقه وعفته وإتباعه للحق والعدل، قد تركت تأثيرها في نفوس القوم، ولم يعدم الخوارج الميل للإمام، إذ سطعت لهم هذه المناقب، فالإمام لم يكن طالباً للحرب مع معاوية أو الخوارج، فقد قال لأصحابه ((لا تبدؤوهم بالقتال حتى يبدءوكم))[٦٠]، ثم وضع راية وقال:((من التجأ إلى هذه الراية فهو آمن))[٦١]، وقال ينصح زياد بن النضر، وشريح بن هانئ: ((لا تقاتلا حتى تُبدءا))[٦٢]، كما نستدل على إنسانيته حتى في وقت الحرب، فقد أمر إلا يمنع أهل الشام من الماء، حينما سيطر

جيش الإمام على غيضة الماء التي تأخذ من الفرات، بعد أنَّ كان قد غلب عليها جيش معاوية ومنعوا عنها أصحاب الإمام(٦٣).

أمّا نصيحته عليه السلام لحجر بن عدي(٦٤)، وعمرو بن الحمق(٦٥)، اللذان كانا يشتمان معاوية وأهل الشام، فقال لهما الإمام: ((كرهت لكم أنَّ تكونوا، شتّامين لعّانين، ولكن قولا: اللهّم، أحقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوى عن الغيّ من لجج به))(٦٦). وقد كانت هذه النصيحة تنير عقول أولئك الذين وقفوا ضد الإمام سواء من أهل الشام أم الخوارج للانحياز نحو الحق والرجاء، لا يشكّون في صدقه وفضله.

هوامش البحث

(١) موضع قرب القرنة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس. نصر بن مزاحم الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله(ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار الكتب العلمية،(بيروت،١٩٩٠م)، ج٣، ص٧٤٩.

ووقعت في صفين معركة بين جيش الإمام وجيش معاوية من أهل الشام، استغرقت المعركة مائة وعشرة أيام في تسعين وقعة. المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ/٨٩٥م)، وقعة صفين،(بيروت، ٢٠١٠م)، الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال، دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م)، ص٢٩٢.

(٢) يذكر أبو حنيفة الدينوري، وأحمد بن داود المتوفى(٢٨٢هـ/٨٩٥م) في موضوع الخلاف في التحكيم الذي جرى في وقعة صفين، إذ كاد جيش الإمام يحسم القتال لصالحه على جيش معاوية بن أبي سفيان من أهل الشام((حينما قرأ الأشعث بن قيس كتاب التقاضي بين الإمام علي بن أبي طالب □ ومعاوية بن أبي سفيان، على الفريقين، يمرّ به على كلّ راية راية وقبيلة قبيلة، فيقرأ عليهم، فمرّ برايات عنزة، وكان مع علي فيهم أربعة آلاف رجل، فلمّا قرأه عليهم، قال أخوان منهم، أسمهما جعد ومعدان:"لا حكم إلا لله"، ثمّ شدّا على أهل الشام فقاتلا حتى قتلا، وهما أول من حكّم)). الدينوري، أبو حنيفة، المصدر نفسه، ص٢٩٢.

(٣) قيل هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل على ميلين منها، نزل بها الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب □، فنسبوا إليها، فقيل إنهم"حرورية" إذ اجتمعوا فيها، أول تحكيمهم واجتماعهم. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٨٢.

(٤) اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح(ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، التاريخ(النجف ـ١٣٥٨هـ)، ج٢، ص١٩٠، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر(بيروت ـ١٩٨٩م)، ج٢، ص٣٩٣، و((قال: إنّ عروة بن أدية أول من قال"لا حكم إلا لله")). ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم المصري(ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب(مادة حكم)،(بيروت ـ١٩٥٦م)، ج١٢، ص١٤٢، والخوارج يسمون المحكّمة لإنكارهم أمر الحكمين وقولهم"لا حكم إلا لله".

(٥) وهو من بني راسب بن ميدان، رئيس الخوارج يوم النهروان. ابن دريد ، محمد بن الحسن(ت٣٢١هـ/٨٤٥م)، الاشتقاق(بيروت، دار الجيل ـ١٩٩١م)، ج٢، ص٥١٥.

(٦) ترجمته في: الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك(مصر ـ١٩٧٦م)، ج٤،ص٦٣، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ(بيروت، دار صادر ـ١٩٨٢م)، ج٣، ص٣٣٦.

(٧) المنقري، نصر بن مزاحم، المصدر السابق، ص٤٨٩-٤٩٩، الطبري، المصدر السابق،ج٤، ص٥٥، البستي، ابن حبان محمد بن احمد (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م)، الثقات، (حيدرآباد الدكن، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ١٩٧٣م)،ج٨، ص١١٠.

(٨) الطبري، المصدر نفسه،ص٦٣.

(٩) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥، ص٥٤.

(١٠) الطبري، المصدر نفسه،ج٤، ص٥٨٢.

(١١) شاعر الخوارج والمسمى"أمير المؤمنين" في أصحابه، خاض معارك قاسية ضد الزبيريين أولا، ثم الأمويين، وقد حفلت المصادر بأخبار حروبه. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، البيان والتبيين،دار الفكر العربي،(بيروت،٢٠٠٠م)،ج٣،ص٤٣٦، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان(بيروت،١٩٧٧م)، ج٤،ص٩٣.

(١٢) اليعقوبي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٥، الطبري، المصدر نفسه،ج٥، ص١٤٥، ابن الأثير، المصدر نفسه،ج٤، ص٤٣٨.

(١٣) المصدر نفسه، ص٢٧٦، الكوفي، ابن أعثم احمد بن عثمان(ت٣١٤هـ/٩٢٦م)، الفتوح،(بيروت، دار الندوة الجديدة ـ من دون تاريخ)، ج٧، ص٣٩.

(١٤) نصر بن مزاحم، المصدر السابق،ص٤٨٩؛ أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق،ص٢٧٩، ٢٨٢.

(١٥) هو عبد الله بن عمرو بن الشكر، كان ناسكا عالما، وكان من الشيعة من أصحاب الإمام علي. ابن النديم، محمد بن إسحق(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)، الفهرست(بيروت، دار المعارف - بلا)، ص١٣٣.

(١٦) المصدر نفسه،ص٤٨٩.

(١٧) ترجمته في :ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله(ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ دمشق،(بيروت، دار المسيرة -١٩٧٩م)، ج٩،ص١٤٩، المزيّ، أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ/١٣٢٧م)، تهذيب الكمال،(دار المعرفة، بيروت -١٩٨٥م)،ج٣،ص٢٨٧.

(١٨) هو مسعر بن فدكي بن أعبد بن أسعد بن منقر، وصفه ابن دريد بأنه كان من أشجع الناس،شهد المشاهد مع الإمام علي. الاشتقاق، ج١، ص٢١٦.

(١٩) الدينوري، ابن قتيبة، المصدر نفسه،ص٢٨٢.

(٢٠) الشهرستاني، حمد بن عبد الكريم(ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، الملل والنحل،(بيروت -١٩٧٥م)،ص١٠٥.

(٢١) جاء في أقوال أحد الخوارج النادمون:((إنّ الله قد جعل لأهل الإسلام سعة في التقيّة)). ديوان الخوارج، المرجع السابق، ص٦٣.

(٢٢) المصدر السابق،ص١١٩.

(٢٣) وهي الفرقة التي ذكرها الشهرستاني في ضمن مجموعة فرق الخوارج التي راحت تشهد انشاقاقات فيما بينهم. المصدر السابق،ص١٠٨.

(٢٤) الشهرستاني، المصدر السابق،ص١١٩.

(٢٥) هو أبو محمد نافع بن الأسود بن قطبة بن مالك التميمي، شاعر مخرم، شهد فتوح العراق، ورأى رأي الخوارج. المنقري،نصر بن مزاحم، المصدر السابق،ص٤٩٢، ٥٣٣.

(٢٦) ديوان شعر الخوارج،ص١٠٣.

(٢٧) المنقري، نصر بن مزاحم، المصدر السابق، ص٥٥٢-٥٥٣، ديوان شعر الخوارج،ص٤٢.

(٢٨) ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين احمد الأندلسي(ت٣٢٧هـ/٩٣٨م)، العقد الفريد (القاهرة -١٩٦٢)، ج٤، ص٣٥٣.

(٢٩) ابن عبد ربه، المصدر نفسه :٣٥٥/٤.

(٣٠) ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٩٥/٢، ويبدو انه أقر في البيت الآخير((...فذلك ديني....))أنّه تخلى عن آراء الخوارج، وليس على دينهم أو دين الحجاج بن يوسف الثقفي.

(٣١) الجاحظ، المصدر السابق:٢٦٤/٣، وقال: ((إن اسمه حبيب بن جدرة، ويقال: حدرة، وكان انتمى للخوارج في سن كبيرة، ولهذا تتفاوت أشعاره تفاوتاً ملحوظاً، ولكنه في أواخره استتاب بتقربه إلى آل علي □)).شعر الخوارج: ٢٣١-٢٣٢.

(٣٢) الجاحظ، المصدر السابق:٢٦٤/٣، وقال:((إنّ اسمه حبيب بن جدرة، ويقال: حدرة، وكان انتمى للخوارج في سن كبيرة، ولهذا تتفاوت أشعاره تفاوتاً ملحوظاً، ولكنه في أواخره استتاب بتقربه إلى آل علي □)). شعر الخوارج: ٢٣١-٢٣٢.

(٣٣) شعر الخوارج:٢٣٢.

(٣٤) البلاذري، احمد بن جابر(ت٢٨٢هـ/٨٩٥م) انساب الأشراف(بيروت ، ١٩٨٦): ٣٧٧/٢، ديوان شعراء الخوارج:٢٣٢.

(٣٥)العسقلاني، ابن حجر، شهاب الدين محمد بن علي (ت٨٥٢هـ/٤٤٨م)، تهذيب التهذيب (الهند، ١٣٢٦هـ)،ج١٠، ص٤٩.

(٣٦) وهو مران بن حطان بن ضبان السدسي البصري التابعي، احد رؤوس الخوارج وواحد من أكبر زعمائهم وزهادهم وأكبر شاعر ظهر فيهم.ظ:الجاحظ، المصدر السابق، ص٤٣٦، وقال انه: كان يكنى ابا شهاب احمد بن عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة.

(٣٧) محمد بن احمد أبو حاتم، ج٨، ص١١٠.

(٣٨) المصدر نفسه ١٢٣/٨.

(٣٩) البستي، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٤٠) المصدر نفسه، ص١٢٤، شعراء الخوارج، ص٢٧٧.

(٤١) المصدر نفسه، ج٧، ص٩٩.

(٤٢) البلاذري، المصدر السابق، ص١١٢.

(٤٣)الرازي، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن ادريس(ت٣٢٧هـ/٩٣٨م)، الجرح والتعديل (بيروت، دار الكتب العلمية ـ من دون تاريخ) ٨٢/٧-٨٣، البستي، المصدر السابق، ج٥، ص٢٩٧، العسقلاني، ابن حجر شهاب الدين احمد بن علي(٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، الإصابة في تمييز الصحابة (مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٨هـ)، ج٣، ص٢١٧.

(٤٤) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص٦٤، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص٣٤٦.

(٤٥) بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل، وهي من اعمال بغداد.ظ:الحموي، ياقوت، المصدر السابق، ج١، ص٥٩٢.

(٤٦) الدينوري، ابن قتيبة محمد بن عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، الإمامة والسياسية (دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٩٧م)، ١٤١/١، الطبري، المصدر نفسه، ج٤، ص٩٤، المبردّ، أبو العباس محمد بن يزيد(ت٢٨٥هـ/٨٩٨م) كتاب الكامل من اللغة والأدب (بيروت، مكتبة المعارف بدون تاريخ)، ج٢، ص١٤٥.

(٤٧) نصر بن مزاحم، المصدر السابق،ص ٥٠٢، ((إنّ ابن الكواء كان في طليعة الذين نادوا، باختيار أبي موسى الاشعري)). أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق، ص٣٠٨.

(٤٨) الغي، الضلالة. ظ: الرازي محمد بن أبي بكر عبد القادر(ت٧٢١هـ/١٣٢٧م)، مختار الصحاح(بيروت - ١٩٩٥م)، ص٤٨٥.

(٤٩) ابن قتيبة ، المصدر السابق، ج١ـ ص١٤١. وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة البخاري، شهد الفتوح واستخلفه الامام علي على المدينة، شهد معه قتال الخوارج، توفي سريّة ٥٠هـ/٦٧٠م. العسقلاني، ابن حجر، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٥.

(٥٠) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص٦٤.

(٥١) المصدر نفسه،ص ٦٤، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص٣٤٦.

(٥٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٦٤(أقامه الخوارج خليفة لهم سنة ٣٧هـ/٦٥٨م) وذهب إلى النهروان.

(٥٣) ابن قتيبة، المصدر نفسه، ج١، ص١٤١.

(٥٤) الشهرستاني، المصدر السابق، ص١٣٢.

(٥٥) كان شهد مع الإمام علي بن أبي طالب ، صفين، وشهد مع الخوارج النهروان، وهو لا يشعر يؤمن بالاستعراض والعنف وقتل الذراري، تحول إلى الاعتزال ثم انجاز إلى العلويين. المبرد، كتاب الكامل في اللغة والأدب، المصدر السابق، ج٣، ص٥٨٦.

(٥٦) شعراء الخوارج، ص٦٣.

(٥٧) المصدر نفسه، ص٦٣-٦٤.

(٥٨) الشهر ستاني، المصدر نفسه، ص٥٨.

(٥٩) الطبري، المصدر السابق، ج٤،ص٣٣٩.

(٦٠) أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق، ص٢٨٥.

(٦١) المصدر نفسه، ص٣٠٩.

(٦٢) أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق، ص٢٤٤.

(٦٣) المصدر نفسه ، ص٢٤٨.

(٦٤) وفد إلى النبي وافتتح مرج عذراء، وبها قتل صبراً قتله معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٣هـ/٦٧٢م. البلاذري، المصدر السابق ، ٢٦٤، ابن دريد، الاشتقاق، ج٢، ص٣٦٤-٥٢٣.

(٦٥) عمرو بن الحمق بن كاهل، أو كاهن الخزاعي الكعبي، صحابي شهد مع علي حروبه، وكان على خزاعة يوم صفين، رحل إلى مصر بعد مقتل الإمام علي عام ٤٠هـ، ثم إلى الموصل، فطلبه عامل معاوية على الموصل بدم عثمان وأخذ رأسه فبعث به إلى زياد الذي بعث به إلى معاوية فكان أول رأس حمل في الإسلام . ظ: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسين الأزدي، الاشتقاق،(بيروت، دار الجيل، ١٩٩١م)،ص٢٨٠؛ خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس ترجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ،(دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م)، ج٥، ص٧٦-٧٧.

(٦٦) المنقري، المصدر السابق،، ص١١٥.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ (بيروت دار صادر، ١٩٨٢م).
٢. البستي، ابن حبان محمد بن احمد(ت٣٥٤هـ/٩٦٥م)، الثقات، (حيدر آباد الدكن، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٣م).
٣. البلاذري، احمد بن جابر(ت٢٨٢هـ/٨٩٥)، أنساب الأشراف، (بيروت، ١٩٩٦م).
٤. الجاحظ، أبو عثمان بن عمرو(ت٢٥٥هـ/٨٦٩م)، البيان والتبيين(دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٠م).
٥. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان(دار الكتاب العلمية، ١٩٩٠م).
٦. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان، (بيروت،١٩٧٧م).
٧. ابن دريد، محمد بن الحسن(ت٣٢١هـ/٨٤٥م)، الاشتقاق، (بيروت، دار الجيل، ١٩٩١م).
٨. الدينوري، ابن قتيبة محمد بن عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، الإمامة والسياسية (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م).
٩. الدينوري، أبو حنيفة ، احمد بن داود(ت٢٨٢هـ/٨٩٥م)، الأخبار الطوال(دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م).
١٠. ديوان شعر الخوارج، (ط٤، دار الشروق، الطبعة، بيروت ـ القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٦م).

١١. الـرازي، ابـن أبـي حـاتم عبـد الـرحمن بـن ادريـس(ت٣٢٧هـ/٩٣٨م)، الجـرح والتعديل(بيروت ، دار الكتب العلمية، من دون تاريخ).

١٢. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(ت٧٢١هـ/١٣٢١م)، مختار الصحاح (بيروت، ١٩٩٥م).

١٣. الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس ترجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، (ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م).

١٤. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم(ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، الملل والنحل (بيروت، ١٩٧٥م).

١٥. ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين احمد الأندلسي(٣٢٧هـ)، العقد الفريد (القاهرة ، ١٩٦٢م).

١٦. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله(ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ دمشق(بيروت، دار المسيرة، ١٩٧٩م).

١٧. العسقلاني، ابن حجر شهاب الدين محمد بن علي (ت٨٥٢هـ/٩٣٩م)، تهذيب التهذيب، (الهند، ١٣٢٦هـ).

١٨. العسقلاني، ابن حجر شهاب الدين محمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، (مطبعة الصادق، مصر، ١٣٢٨هـ).

١٩. الكوفي، ابن أعثم احمد بن عثمان(ت٣١٤هـ/٩٢٦م)، كتاب الفتوح (دار الندوة الجديدة ـ بدون تاريخ).

٢٠. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد(ت٢٨٥هـ/٨٩٨م)، الكامل في اللغة والأدب (بيروت، مكتبة المعارف ـ بدون تاريخ).

٢١. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر(بيروت ـ ١٩٨٩م).

٢٢. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم المصري(ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، (بيروت، ١٩٥٦م).

٢٣. المنقري، نصر بن مزاحم بن سيار أبو الفصل(ت٢١٢هـ/٨٢٧م)، وقعة صفين (بيروت لبنان،٢٠١٠م).

٢٤. اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح(ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، التاريخ (النجف، ١٣٥٨هـ).